

روح المعاني

وأنكر الفلاسفة أصل الأنشاق بناءً على زعمهما استحالة الخرق والألتئام على الأجرام العلوية ودليلهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت وقد خرق بأدنينسمة من نسمات أفكار أهلالحق العلويين خرقاً لا يقبل الألتئام كما بين في موضعه وقال بعض الملاحدة : لو وقع لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس في شركاء والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد ولا أغرب من انشاق هذا الجرم العظيم ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم ولو كان له أصل لخلد أيضاً في كتب التيسير والتنجيم ولذكره أهل الأرصاد فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير وإطباقهم على تركه وإغفاله مع طلاله شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة وأيضاً لا يعقل لخرق هذا الجرم العظيم وأيضاً خرقه بوجوب صوتا هائلاً أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أخلالأرض منه وأيضاً متى خرق وصار قطعتين ذهبت منه قوة التجاذب كالجبل إذا انشق فيلزم بقاؤه منشقاً ولا أقل من أن يبقى كذلك سنين كثيرة والجواب عن ذلك أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ضرورة اختلاف المطالع فقد يكون القمر طالعا على قوم غائباً عن آخرين ومكسوفاً عند قوم غير مكسوف عند آخرين والأعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابة اليوم وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد والانشقاق لا تختلف به منازلهم ولا يتغير به سيره غاية ما في الباب أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية واي مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله تعالى سبحانه في ضوء الشمس فقد قال أهل الحكمة الجديدة : إن بين الأرض والشمس ثلاثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ وأن ضوءها ليصل إلى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها كروية الكواكب قريبة مع بعدها المفترط فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه وكيفي ذلك عدم وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة ولو أخبرهم مخبر بفرض إن لم يكن لهم بخواص البصر كونه قطعة شحم صغيرة معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الإنكار وكذبوه غاية التكذيب ونسبوه إلى الجنون .

ومن سلمت أثير النفوس إلى حد أن يصرع الشخص آخر بمجرد النظر إليه وتوجيه نفسه نحوه لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك وقد صح في إصابة العين أن بعض الأعراب ممن له عين صائبة يفلق سنام الناقة فلقنتين وربما تصور له من رمل فينظر إليه ويفلقه فينطلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها وهذا كله من باب المماشاة وإلا فإراءة الله تعالى كافية في الأنشاق وكذا في

كل المعجزات وخوارق العادات ولو كان لكل حادث سبب لزم التسلسل وقد قامت الأدلة على بطلانه وكون الخرق يوجب صوتا هائلا ممنوع فيما نحن فيه ومثله ذهاب التجاذيب والجسام مختلفة من حيث الخواص فلا يلزم اتحاد جرما للقمر والرض فيها ويمكن أن يكون إحداهما القطعتين كالجبل العظيم بالنسبة إلى الأرض إذا ارتفع عنها بقاسر مثلا جذبته إليه إذا لم يخرج عن حد جذبها على ما زعموه ويلتزم في تلك القطعة عدم الخروج عن حد الجذب على أنا في غنى عن كل ذلك أيضا بعد إثبات الأمكان وشمول قدرته D وأنه سبحانه فعال لما يريد .
والحاصل أنه ليس عند المنكر سوا الاستبعاد ولا يستطيع أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق والاستبعاد في مثل هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سلم وروي عن الحسن أنه قال : هذا